دعوة الإسلام
إلى إعداد القوة

إعداد
عبد الله بن محمد بن عبد الله الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة :

الحمد لله الذى أمر عباده المؤمنين بإعداد القوة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية قال تعالى « وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ...»[١]

والصلاة والسلام على رسوله القوى الأمين الذى أمر أمته بإعداد القوة وحثهم على تحصيل أسبابها.

أما بعد : فإن موضوع القوة يُعَدُّ من موضوعات الساعة التى أصبح الحديث عنها وبيان أهميتها امراً ضرورياً لكى يدرك المسلمون مدى أهمية هذا الموضوع وخطورته سواءً كان فى الجانب النظرى أو العملى فى حياة المسلمين.

وحسبنا فى هذه العجالة أن نتحدث عن الموضوعات الآتية



(١) سورة الأنفال آية (٦٠)

مفهوم القوة فى الإسلام

مفهوم القوة فى القرآن الكريم:

حين نتتبع آيات القرآن الكريم نجد أن مادة (قوى) وما اشتق منها قد وردت فى (٤٤) موضعا[٢]، وهي على خمسة أوجه:

الوجه الأول: القوة بمعنى العدد من الرجال. قال الله تعالى:

﴿ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[٣]. يعني عددا من الرجال.

وقال الله تعالى:

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[٤].

يعني بعدد من الرجال.

الوجه الثاني: القوة بمعنى الجد والمواظبة. قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٥].

يعني بجد ومواظبة.

---

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم تأليف: محمد فؤاد عبدالباقى باب القاف ص ٥٨٧، ٥٨٨

(٣) سورة هود : آية ٥٢

(٤) سورة الكهف : آية ٩٥

(٥) سورة البقرة آية ٦٣

الوجه الثالث: القوة بمعنى البطش. قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ... الآية)[٦].

يعني بطشا.

وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾[٧]. يعني أشد بطشا.

الوجه الرابع: القوة بمعنى الشدة. قال الله تعالى:

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾[٨].

يعني الشديد.

الوجه الخامس: القوة بمعنى السلاح والرمي. قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ... الآية)[٩].

أى من السلاح والرمي[١٠] وغيرهما مما يطلق عليه مسمى قوة سواء كانت مادية أو معنوية، وهذه المعانى للقوة كلها مطلوبة فى الإسلام، وبدونها لا يوجد فى الأرض قوة تحمى الإسلام؛ فيتسبب من جراء ذلك ضعف شوكة المسلمين وذهاب ريحهم فيطمع فيهم العدو ويستولى عليهم.

مفهوم القوة في السنة النبوية:

جاءت السنة النبوية ببيان مفهوم الفوة فى الإسلام؛ وسنذكر ـ إنْ شاء الله ـ حديثا واحدا حتى يتبين لنا منه مفهوم القوة فى السنة النبوية:

---

(٦) سورة فصّلت آية: ١٥

(٧) سورة محمد آية ١٣

(٨) سورة الشورى آية ١٩

(٩) انظر الأنفال آية ٦٠

(١٠) انظر اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للفقيه الدامغانى ص ٣٩٥، ٣٩٦

عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: « وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ... الآية»[١١]

ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمى، ألا إن القوة الرمى، قالها ثلاثا».[١٢]

ولابد من إيضاح مفهوم الحديث حتى يتبين المراد منه. فالرسول صلى الله عليه وسلم قال ها هنا «القوة» ثم فسرها بالرمى، فأطلق القوة ولم يقيدها، ولم يبين نوعها للوقوف عنده، والمراد من هذا الحديث: أن القوة ليست مقتصرة على نوع معين من السلاح أو العتاد؛ بل القوة عامة للسيف والطائرة وعابرة القارات والمدافع، وغير هذه الأنواع من القوى الأخرى المادية والمعنوية مما وُجِدَ أو سيوجد فى المستقبل القريب أو البعيد إلى آخر الزمان[١٣].

أما تفسيره صلى الله عليه وسلم «القوة بالرمى؛ فهذا من باب التغليب، وهو باب واسع فى اللغة العربية كقولهم: العمران، ويقصدون بهما أبا بكر وعمر، وقول العرب: طعام فلان الأسودان، ويقصدون بهما التمر والماء.

وقد ذكر العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ وجوها كثيرة فى تفضيل الرمي على سائر القوى، وسوف نذكر بعضها ـ إن شاء الله ـ بشئ من التصرف.

الوجه الأول: أنَّ الله سبحانه وتعالى قدم الرمي في الذكر وهذا يدل على عظم أثره فقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ... الآية﴾[١٤]

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه فسر القوة بالرمى فى حديث عقبة بن عامر والعرب إنما تبدأ فى كلامها بالأهم والأولى.

(١١) سورة الأنفال : آية ٦٠

(١٢) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب الجهاد باب فى قول الله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل... الآية). ورقم الحديث ١٩١٧./ صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ١٥٢٢/٣.

(١٣) انظر كتاب الجهاد بين الطلب والدفاع ص ٨٠ للشيخ صالح اللحيدان

(١٤) سورة الأنفال: آية ٦٠

الوجه الثاني: أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم سمى الرمي قوة تغليبا على غيره وعدل عن لفظه إلى لفظ «القوة» وسمى رباط الخيل بلفظه ولم يعدل الى غيره إشارة إلى ما في الرمي من النكاية والمنفعة.

الوجه الثالث: أن بالقسى مكَّن الله لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدوهم. عن عويم بن ساعدة ـ رضى الله عنه ـ قال: أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا معه قوس فارسية فقال: «اطرحها ثم أشار إلى القوس العربية فقال: بهذه الرماح القنا يمكن الله لكم فى البلاد وينصركم على عدوكم»(١٥). ويلحق بالقسى جميع آلات الرمى مما تؤدى وظيفتها مما وجد أو سيوجد فى المستقبل.

الوجه الرابع: أن منفعة الرمى ونكايته فى العدو فوق منفعة سائر آلات الحرب فكم من سهم واحد هزم جيشا. وقد عُلِمَ بالتجربة أن الرامى الواحد إذا كان جيد الرمى فإنه يأخذ الفئة من الناس الذين لا رامى معهم ويطردهم جميعا، والخصم يخاف من الرمى أضعاف خوفه من السيف والرمح ثم إن صوت الرامى المجيد فى الجيش خير من فئة. كما قال صلى الله عليه وسلم: «صوت أبى طلحة فى الجيش خير من فئة»(١٦). وكان أبو طلحة من أحسن الصحابة رميا.

الوجه الخامس: أنَّ الرمى يعمل فى الجهات الست كلها وهى: جهة العلو والسفل واليمين والشمال والخلف والأمام على البعد؛ أما غير الرمى فلا يبلغ عمله ذلك ولا بعضه ولا يؤثر إلا مع القرب فقط.

---

(١٥) الحديث أخرجه الطبرانى. قال الهيثمى: وفى اسناده مساتير لم يضعفوا ولم يوثقوا. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢٦٧/٥.

(١٦) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٢٦١/٣. ونصه عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صوت أبى طلحة فى الجيش خير من فئة قال: وكان يجثو بين يديه فى الحرب ثم ينثر كنانته ويقول: وجهى لوجهك الوقاء ونفسى لنفسك الفداء.
وأورد السيوطى ـ رحمه الله ـ رواية أخرى وهى: «صوت أبى طلحة فى الجيش خير من ألف رجل» ثم قال: سمويه عن أنس كذا قال السيوطى عن الحديث ولفظه ومن خرجه وقد رمز لضعفه لكن قال المناوى فى فيض القدير: رمز المصنف لحسنه ورواه عنه ـ أيضا ـ (يعنى أنس) الديلمى وابن منيع وغيرهما. انظر فيض القدير للمناوى ٢١٠/٤

الوجه السادس: أن الرمى يصلح لأمرين :

الأمر الأول: الكسب فيصاد به الطير وغيره من الأشياء المباح صيدها والانتفاع بها.

الأمر الثاني: تحصيل المنافع للإنسان ودفع المضار عنه. فالرمى أعظم الآلات تحصيلا لهذين الأمرين وإن كان غير الرمى قد يحصل به ذلك لكن الحاصل بالرمى أكمل وأتم. وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ مزايا أخرى للرمى وساق عن النبى صلى الله عليه وسلم مجموعة من الأحاديث تدل على فضله وتميزه عن سائر أعمال الفروسية الأخرى[١٧].

مفهوم القوة عند بعض علماء الإسلام:

قال أبو جعفر الطبرى ـ رحمه الله تعالى ـ مبينا معنى القوة فى قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ .... الآية﴾[١٨] والصواب من الفول فى ذلك أن يقال: إنَّ الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمى وغير ذلك ورباط الخيل ولا وجه لأن يقال: عنى بالقوة معنى دون معنى من معانيها وقد عمَّ الله الأمر بها[١٩]. لأن الحاجة إلى القوة تختلف من زمن إلى زمن، وهذا المعنى يتناسب مع شمول الإسلام واستجابته لمتطلبات كل عصر لأنه دين صالح لكل زمان ومكان.

قال القرطبى ـ رحمه الله تعالى ـ مبينا معنى القوة فى قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ...﴾ الآية[٢٠]. أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء (بمعناها العام) بعد أن أكد تقدمه التقوى فإن الله تعالى لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل فى وجوههم وبحفنة من تراب كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه أراد أن

(١٧) انظر كتاب الفروسية لابن القيم ص ١٣ ـ ١٧

(١٨) سورة الأنفال : آية ٦٠

(١٩) جامع البيان عن تأويل القرآن لأبى جعفر الطبرى ٣٢/١٠

(٢٠) سورة الأنفال: آية ٦٠

يبتلى بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ[٢١]. فمفهوم القوة عند القرطبى ـ رحمه الله ـ يقتضى العموم لسببين: ـ

الأول: أن حمل لفظ الآية (من قوة) على العموم أولى من قصره على نوع معين من أنواع القوى.. لأن القوة بمعناها العام تحقق المصلحة للأمة الإسلامية وتدفع عنها المفسدة.

الثاني: أن القرطبى ـ رحمه الله تعالى ـ أطلق معنى القوة وعندئذ يحمل قوله على العموم.

قال الإمام أحمد بن على الجصاص ـ رحمه الله تعالى ـ مبينا مفهوم القوة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن القوة الرمى» أنه من معظم ما يجب إعداده من القوة على قتال العدو ولم ينف به أن يكون غيره من القوة، بل عموم اللفظ شامل لجميع ما يستعان به على العدو من سائر أنواع السلاح وآلات الحرب[٢٢]، فيظهر لنا من هذا: أن مفهوم القوة عند الجصاص ـ رحمة الله تعالى عليه ـ مفهوم عام يتناول كل أنواع القوة العسكرية.



---

(٢١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٥/٨

(٢٢) انظر أحكام القرآن للجصاص ٦٨/٣

مدى حاجة الحق الى القوة

يمكن أن يتبين لنا مدى حاجة الحق الى القوة من معرفة أمرين هامين:

الأمر الأول: الأهداف التى تحققها القوة، وهى:

الهدف الأول: تؤمن القوة فى حقل الدعوة الإسلامية الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم فلا يصدون عن هذه العقيدة ولا يفتنون كذلك بعد اعتناقها.

الهدف الثانى: أن هذه القوة ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكرون فى الاعتداء على دار الإسلام.

الهدف الثالث: أنه بوجود هذه القوة لدى المسلمين يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا فى الوقوف فى وجه المد الإسلامى وهو ينطلق لتحرير الإنسان من عبادة الطاغوت إلى أن يصير عبدا لله فى شئون حياته كلها.

الهدف الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة فى الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، فتحكم الناس بقوانينها، ولا تعترف بأن الالوهية لله وحده وأن الحكم له وحده سبحانه وتعالى(٢٣).

الأمر الثانى: قانون الصراع بين الحق والباطل .

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... الآية﴾(٢٤). فالأمة الإسلامية هى الأمة الوسط

---

(٢٣) انظر فى ظلال القرآن تأليف: سيد قطب ١٥٤٣/٣. طبعة دار الشروق.

(٢٤) سورة البقرة: آية ١٤٣

التى تشهد على الناس جميعا فتقيم بينهم العدل وتضع لهم الموازين والقيم وتبدى فى الناس رأيها، وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم، فتفصل فى أمرها، فتقول: هذا حق منها وهذا باطل وتنفض عن البشرية فى كل زمان ومكان ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها، وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى، وتزاوج بين تراثها الروحى من عهود الرسالات، ورصيدها العقلى المستمر فى النماء والتطور، وتسير بها على الصراط المستقيم(٢٥).

فإذا كانت هذه هى رسالة الأمة الإسلامية، فهل يتركها أعداؤها دون تعرض؟

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم ما يصلح حال الناس؛ ومن ثم جعل الصراع بين الخير والشر قائما على قدم وساق. يقول سبحانه وتعالى:

(... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ)(٢٦).

لقد كانت الحياة كلها تأسن وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولا أن فى طبيعة الناس التى فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرة القريبة لتنطلق كلها تتزاحم وتتدافع، فتنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مذخورة، وتظل دائما يقظة عاملة مستنبطة لذخائر الأرض مستخدمة قواها وأسرارها الدفينة، وفى النهاية يكون الصلاح والخير بقيام الجماعة الخيرة المهتدية التى تعرف أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق؛ وهنا يمضى الله أمره وينفذ قدره، ويجعل حصيلة الصراع والتدافع فى يد القوة الخيرة البانية التى استجاش الصراع أنبل ما فيها وأكرمه(٢٧).

وقد كشفت التجارب التاريخية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، وما بعده من العهود التى قام فيها الجهاد بين الإسلام وأعدائه عن قانون الصراع الذى يحكم العلاقات بين المجتمع المسلم الذى يفرد الله سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية والقوامة والحكم والتشريع،

---

(٢٥) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب ١/١٣٠، ١٣١

(٢٦) سورة البقرة: آية ٢٥١

(٢٧) انظر فى ظلال القرآن ١/٢٧٠

وبين المجتمعات الجاهلية التى تجعل هذا كله لغير الله، أو تجعل فيه شركا لله[٢٨].

فإذا أدركنا أن الصراع بين الحق والباطل قائم على أشده كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى قوله: (... وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ... الآية)[٢٩].

فغير المسلمين يحاربون الإسلام بشتى الأسلحة ومختلف صنوف القوة ـ المادية والمعنوية ـ لأن الكفار يعلمون أنه حين يسيطر الإسلام ويبسط ألويته على الأرض ويحكم المسلمون الحياة... أن قيادة البشرية ستؤول الى المسلمين ويكونون هم قادة ركب البشرية الى الخير والنور، فمن أجل هذين الأمرين ينبغى أن نقول: إنه لابد للحق من قوة تحميه وتذود عنه وتبلغه مأمنه وتكف المعطلين له والواقفين فى طريقه من الجاحدين والساخرين والمستهزئين ومن غير وجود القوة يكون الحق ضعيفا ليس له مستقر. يطمع فيه الطامع ويصول عليه الأعداء ويكون أهله فى مفترق الطريق[٣٠].



(٢٨) انظر فقه الدعوة لسيد قطب جمع وترتيب الدكتور احمد حسن فرحات ص ٢٣٣

(٢٩) سورة البقرة آية ٢١٧

(٣٠) انظر العدد الأول من مجلة كلية الشريعة بالرياض لعام ٨٩ ـ ٩٠ مقال للشيخ/ أحمد حسن مسلم بعنوان «القوة فى الاسلام ـ أثرها فى حماية الحق ودعوة الإسلام اليها بهذا الاعتبار» ص ٢٥.

الأدلة على وجوب الأخذ بأسباب القوة

الأخذ بأسباب القوة وما يؤدى اليها دل عليها ما يأتى: ـ

أولا : الكتاب العزيز. قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... الآية﴾(٣١) فقد جاء فى هذه الآية الكريمة الأمر بإعداد القوة الدال على الوجوب(٣٢). وهذا يدلنا على وجوب الأخذ بأسباب القوة.

ثانيا: السنة النبوية؛ فقد دلت السنة النبوية على الأخذ بأسباب القوة؛ وذلك فيما يأتى : ـ

١ ـ ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى حثه على الرمى والسباق والمصارعة وركوب الخيل وأصناف الفروسية الأخرى

٢ ـ تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى على المؤمن الضعيف. عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز... الحديث»(٣٣). فقد دل هذا الحديث على الأخذ بأسباب القوة؛ وذلك حين فضل الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى على سواه، لأن العزة من صفات

---

(٣١) سورة الأنفال : آية ٦٠

(٣٢) الأمر إذا ورد متجردا عن القرائن يقتضى الوجوب فى قول الفقهاء وبعض المتكلمين، وقد رجح ابن قدامة هذا القول وأيد قوله بأدلة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة وقول أهل اللغة./ انظر بالتفصيل روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة بتحقيق الدكتور/ عبدالعزيز السعيد ١٩٣/٢ ـ ١٩٦.

(٣٣) الحديث أخرجه مسلم فى كتاب القدر باب فى الأمر بالقوة وترك العجز ورقم الحديث ٢٦٦٤./ صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ٢٠٥٢/٤، وأخرجه أحمد فى مسنده ٣٦٦/٢.

المؤمنين، ولا تحصل لهم العزة إلا بتوفر القوة التى تحمى الحق وأهله، وتدمر الباطل وجنده.

ثالثا: إجماع الصحابة. فقد أجمع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على وجوب الأخذ بأسباب القوة الممكن تحصيلها فى وقتهم ـ بقدر استطاعتهم ـ فقد جهزوا الجيوش للغزو فى سبيل الله، ولحماية الحق الذى يعتقدونه ويدينون الله به، وهذا الإجماع العملى منهم يدل على وجوب الأخذ بأسباب القوة والمنعة، لأن الصحابة لا يجمعون على أمر غير مشروع بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تجتمع أمتى على ضلالة»(٣٤).

رابعا: أحكام السياسة الشرعية. فقد دلت هذه الأحكام على الأخذ بأسباب القوة، لأن الأخذ بها يتفق مع روح الشريعة ومقاصدها الضرورية، وهذان الأمران يفتقران فى حفظهما إلى القوة، لأن الظلم من شيم النفوس، ولا يزيل الظلم والمفاسد إلا القوة التى تظهر الحق بين الناس، وتقمع الباطل وأهله، وصدق أبو الطيب المتنبى حيث يقول:

والظلم من شيم النفوس فان تجد :: ذا عفة فلعلة لا يظلم(٣٥)

خامسا: العقل السليم. فالعقل السليم الباقى على فطرته السوية يدرك أنه يجب تحصيل المصلحة ودفع المفسدة، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بتوفر أسباب القوة بأنواعها المختلفة، ومادام تحقيق المصلحة ودفع المفسدة واجبين، فإن الأخذ بأسباب القوة ـ أيضا ـ واجب، لأن «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»(٣٦).

وقد بين الشاعر المسلم محمد كاشف ـ رحمه الله ـ فى بعض قصائده أن المسلمين لم يتقدموا إلا حين أخذوا بأسباب القوة بأنواعها المختلفة من أجل الكفاح وطلب العزة والسعى

---

(٣٤) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٦/٣٩٦. كما أخرجه الطبرانى فى الكبير، وابن أبى حيثمة فى تاريخه. قال السخاوى بعد ذكر رواية هذا الحديث «وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة فى المرفوع وغيره. انظر المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوى حديث رقم ١٢٨٨ ص ٤٦٠

(٣٥) انظر شرح ديوان المتنبى للعكبرى ٤/١٢٥

(٣٦) انظر المستصفى للغزالى ١/٧١

للمجلة ثم ذكر ـ أيضا ـ أن المسلمين لم يتخلفوا إلا حين تخلوا عما أمرهم به دينهم من الأخذ بهذه الأسباب، وقد دعا الشاعر المسلمين إلى مجاراة الغربيين فى الأخذ بأسباب القوة لأنهم أحق من الغربيين باتباع ما جاء به الإسلام. فيقول رحمه الله ـ:

بنـــى الشرق أدعـــوكم إلى خـــير منهج :: بعيد اليكم نظـــرة العيش ثانيا
فجـــاروا بنـــى الغـــرب الـــذين تشبهوا :: بأجـــدادكم حتـــى تنالـــوا المعاليا
وأنتـــم بتقليد الجـــدود أحـــق من :: عـــدى سلبـــوكم مظهـــرا كان زاهيا
أسركـــم أن المحـــارم تســـتبى :: ولـــم تلـــق فيكم عن حماهـــا محاميا[37]



(٣٧) انظر الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر تأليف: الدكتور محمد محمد حسين ٣١٤/١، ٣١٥

تغير أحكام القوة بتغير الأزمان

لما كانت أحكام القوة من أحكام السياسة الشرعية التى من شأنها أن تتغير وتتبدل لما فيه مصلحة الأمة ويتفق مع روح الشريعة الإسلامية وأصولها العامة. فإن أحكام القوة فى الإسلام يجب أن تتغير وتتبدل كلما كان فى ذلك مصلحة للأمة أو دفع مفسدة عنها، وأن أقوى سند فى هذا الشأن القاعدة الفقهية «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان»[٣٨] فعلى ولاة الأمر فى الأمة الإسلامية إعداد القوة المناسبة لهذا العصر بشرطين هما: ـ

الشرط الأول: أن تكون هذه القوة متفقة مع روح الشريعة.

الشرط الثانى : أن تكون هذه القوة متفقة مع أصول الشريعة العامة[٣٩].

وينبغى أن يستقر فى أذهاننا أمور ثلاثة : ـ

الأمر الأول : أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما يأمرنا بإعداد القوة، فإنه يريد منا بذل الأسباب فى إعداد قوة تجلب للأمة الإسلامية الخير، وتدفع عنها الشر، فيدخل فى ذلك أنواع الصناعات التى تعمل فيها الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات والبنادق والطائرات الجوية والمراكب البرية والبحرية والقلاع والخنادق وآلات الدفاع والسياسة الحكيمة التى بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم شر أعدائهم[٤٠].

الأمر الثانى: أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين أمر المؤمنين بإعداد أنواع من القوة، فإنه لا يأمر بإعداد قوة تعود على الأمة بالمصلحة، وتدفع عنها المفسدة، وإذا ثبت أن قوة بعينها تؤدى هذا الغرض تعين الأخذ بها، لأن هذا هو عين الحكمة التى أرشد إليها

(٣٨) انظر مجلة الأحكام العدلية المادة رقم (٣٩) ص ١٤

(٣٩) انظر محاضرات فى نظام الحكم. تأليف: أستاذنا الجليل الدكتور عبدالعال أحمد عطوة ص ١٩، ٢٠

(٤٠) انظر تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان تأليف الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدى ٣/٨٨

الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق الناس بها»[٤١]. فإذا كان شأن إعداد القوة متروكا لأهل الرأى والخبرة فليعدوا من القوى ما شاءوا مادامت يتوفر فيها الشرطان المذكوران آنفا.

الأمر الثالث : أن أى عاقل يتصف بالحكمة وسداد الرأى لا يشك أن مراعاة واقع العصر الذى يعيش فيه الانسان يجب أن يوضع فى الحسبان، فلا يليق بعاقل يعيش فى عصرنا الحاضر أن يقول: ينبغى الاعتماد على السيف وحده أو الرمح وحده بعد أن اكتشف الناس أنواعا من القوى المادية التى تؤثر على من وجهت اليه وتصيبه بالضرر، فقد سبق أرباب الحضارات الكافرة غيرهم فى عصرنا الحاضر فى التوصل إلى أسلحة فتاكة مثل: القنبلة بأنواعها المختلفة والرشاشات والمدافع الثقيلة وغيرها من القوى المادية الأخرى. فهل يليق بعاقل أن يقول: أن السيف والرمح يتكافآن مع هذه القوى التى يملكها العدو ويسخرها لسحق خصومه على المدى القريب والبعيد، كما أنه لا ينبغى التقليل من قيمة القوى المعنوية التى جندها الكفار على اختلاف شعاراتهم لسحق الحق وجنده حيث واصل أعداء الإسلام ليلهم بنهارهم لكسب أكبر قدر ممكن من هذه القوى لعظم تأثيرها على الشعوب المغلوبة، وغفلة المسلمين عن تأثير هذه القوى فى النفوس البشرية.



(٤١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد باب الحكمة ورقم الحديث ٤١٦٩ سنن ابن ماجه ١٣٩٥/٢. وأخرجه الترمذى فى كتاب العلم باب الحكمة ورقم الحديث ٢٦٨٨ سنن الترمذى بتحقيق عزت عبيدالله الدعاس ٣٢٩/٨

وقد ذكر السخاوى فى المقاصد الحسنة قريبا من لفظ هذا الحديث فقال: حديث «الحكمة ضالة المؤمن» ثم ذكر ـ رحمه الله ـ أن القضاعى روى هذا الحديث فى مسنده من حديث الليث بن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم مرفوعا بزيادة حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها إليه وهو مرسل، كما رواه البيهقى فى المدخل والعسكرى من حديث ابراهيم بن الفضل عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة، وقال الترمذى: انه غريب، وابراهيم ابن الفضل يضعف فى الحديث من قبل حفظه/. انظر المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة تأليف: محمد بن عبدالرحمن السخاوى حديث رقم ٤١٥ ص ١٩١

تنويع مظاهر القوة وتطويرها

تنويع مظاهر القوة فى الإسلام :

بالتأمل الدقيق فى النصوص العامة التى دعت إلى إعداد القوة، نجد أنها جاءت مبهمة، فلم تنص على قوة بعينها، ليذهب الفكر فى تفسير القوة كل مذهب، ويعم اللفظ فى كل نص ما يناسبه من أنواع القوى المتعددة التى وجدت فيما مضى، أو اكتشفت فى العصر الحاضر أو مما سيجد من القوى فى المستقبل القريب أو البعيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فحين نتدبر قول الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ... **الآية**)(٤٢) نجد أن الله سبحانه وتعالى يأمر المخاطبين بالأخذ بأسباب القوة وفنونها المختلفة فى كل عصر ما يناسبه باعتبار أن آية الأنفال (وأعدوا لهم) من آيات الأحكام التى يخاطب بها المكلفون من المؤمنين فى كل زمان ومكان.

فالمسلمون مكلفون ـ بما فى الوسع والطاقة ـ بإعداد القوة التى تناسب عصرهم الذى يعيشون فيه بشرط أن يتحقق من هذه القوة جلب المصالح للإسلام والمسلمين، ودفع المفاسد عنهما.

وجاءت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم تحث على تحصيل أنواع القوة بأسلوب جميل يحمل نفس المسلم على الإسراع فى إعداد هذه القوى. عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز... الحديث». فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة المؤمن القوى عند الله تعالى والقوى: هو الذى أخذ بأسباب القوة بأنواعها المختلفة المادية والمعنوية، ومن الجدير بالذكر أن المؤمن لا يصير قويا وينال المنزلة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى إلا إذا أخذ بأسباب القوة الموجودة فى عصره ـ

(٤٢) سورة الأنفال : آية ٦٠

حسب قدراته وطاقاته التى وهبه الله إياها

(لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا... الآية)[٤٣].

تطوير مظاهر القوة فى الإسلام والأدلة على ذلك :

ومع تنويع مظاهر القوة لابد من تطويرها حتى تكون على مستوى قوة أعداء الإسلام الذين يحشدون قوى متعددة لسحق أمة الإسلام وسلخها من دينها حتى يكون هؤلاء الأعداء فرسان الميدان. وتطوير القوة ليس بدعا فى دين الإسلام، فشأن إعداد القوة يسير حسب مشيئة الله سبحانه وتعالى فى إجراء سنن الحياة على ما يريد فسنة الله فى الحياة أن ينشأ الشئ ضعيفا فى البداية ثم ينمو ويتطور إلى أن يصل إلى الحد المقدر له، وإذا أردنا تطوير قوة ما فلنعلم أن هذا التطوير رهن بتقدم العلم التجريبى، فبدونه لا يمكن أن توجد قوة تؤدى الغرض المرجو منها.

وقد توصل العلم فى عصرنا الحاضر الى كثير من الاكتشافات التى قدمت للإنسان كثيرا من وسائل الحياة المختلفة ومتطلباتها الضرورية والكمالية ولا يزال الناس ينتظرون المزيد من ثمار العلوم التجريبية، ولنأخذ مثلا على تطور وسائل الحياة ـ فى وسائل النقل ـ ففى القرون الماضية وجزء من هذا القرن اعتمد الإنسان فى تنقلاته وأسفاره على ركوب الخيل والبغال والحمير والجمال، ثم لما تطور العلم التجريبى توصل الإنسان بعقله الذى وهبه الله إياه الى صناعة آلة من الحديد تستخرج مادتها الخام من هذه الأرض التى نعيش عليها يسيرها الإنسان بواسطة مادة مستخرجة من الأرض ـ وهى الوقود ـ وقد ورد ذكر هذه الوسائل فى القرآن الكريم فقال سبحانه وتعالى: (وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[٤٤] وقد بقى النص القرآنى (ويخلق ما لا تعلمون) ينبض بالحيوية والطراوة حتى بعد وجود السيارة، ونتيجة لتقدم العلم التجريبى توصل الإنسان الى صناعة وسيلة أخرى من وسائل النقل وهى: ـ الطائرة التى تقطع المسافات الطويلة فى مدة قليلة على اختلاف فى سرعة هذه الطائرات ثم وجدت الصواريخ فسابقات الصوت. وكذلك

---

(٤٣) سورة البقرة آية ٢٨٦

(٤٤) سورة النحل : آية ٨

الأمر بالنسبة لأسلحة القتال، فقد كانت الأسلحة الموجودة فى عصر صدر الإسلام تتناسب مع أحوال الناس فى ذلك الزمان، فكانت الأسلحة الخفيفة المستعملة فى ذلك الوقت هى القوس والسهم والرمح والسيف؛ بينما كانت الأسلحة الثقيلة تشمل المنجنيق والدبابة وغير ذلك من وسائل الدفاع الأخرى[٤٥].

ومن الضرورى تبعا لتغير الأزمنة وتقدم العلم التجريبى أن تتطور مظاهر هذه القوة فتشمل كل ما يحقق المصلحة للأمة الإسلامية ويدفع عنها المفسدة ـ مما تحتاجه الأمة ـ من مختلف أصناف الأسلحة العسكرية. فيجب إذاً على الأمة الإسلامية ممثلة فى أصحاب الخبرة والرأى والسياسة وقادة الفكر من أبنائها المبادرة الى تطوير وسائل القوة المادية والمعنوية، لأن الأمة الإسلامية لا تعيش بمعزل عن العالم، بل هى جزء منه، فلا يصح منها أن تغمض عينيها عن الأخذ بأنواع القوى المختلفة مما هو موجود فى عصرنا الحاضر، وتطويرها حتى تكون فى مستوى قوة أعدائنا على الأقل

(.. وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ)[٤٦].

وقد دل على تطوير القوة فى الإسلام ما يأتى : ـ

١ ـ فمن الكتاب : قال الله تعالى : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ...) الآية[٤٧]، فقد أوجب الله سبحانه وتعالى على المؤمنين أن يعدوا القوة لأعداء الإسلام، والله سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بإعداد قوة تجلب المصلحة للأمة وتدفع عنها المفسدة، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت القوة مناسبة للعصر، فالآية يدل فحواها على إعداد القوة وتطويرها حتى تحقق الغرض منها. وقد دل الكتاب الكريم على تطوير القوة فى موضع آخر فقال تعالى: (وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ.. الآية)[٤٨] فقد نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن الضعف، ولا يسلم المؤمنون من الضعف إلا

(٤٥) انظر بالتفصيل كتاب الفن الحربى فى صدر الإسلام تأليف: عبدالرءوف عون الفصل الثالث ص ١٢٩ وما بعدها.

(٤٦) سورة الحج :

(٤٧) سورة الأنفال : آية ٦٠

(٤٨) سورة النساء آية ١٠٤

إذا أخذوا بأسباب القوة الموجودة فى عصرهم على الوجه المطلوب الذى يحدده أصحاب الرأى والسياسة فى الأمة الإسلامية. فالآية يدل فحواها على تطوير القوة حسب الحاجة إلى ذلك.

٢ ـ من السنة. عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز...... الحديث.» فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة المؤمن القوى عند الله، والمؤمنون لا يمكن أن يبلغوا هذه المنزلة ـ عند الله ـ إلا إذا أخذوا بأسباب القوة الموجودة فى عصرهم وسعوا الى تطويرها كلما دعا الأمر إلى ذلك.

٣ ـ القواعد الفقهية . ومنها قاعدة «الضرر يدفع بقدر الإمكان»(٤٩)، ومعنى هذه القاعدة أن الضرر تجب إزالته بقدر الاستطاعة ولا سبيل إلى إزالة الضرر إلا إذا أخذ المؤمنون بأحدث وسائل القوة فى العصر الحديث، وهذا يقتضى تطوير القوة كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

٤ ـ مراعاة العدالة. ولا سبيل الى تحقيق العدالة فى حياة الفرد والجماعة فى الإسلام إلا بوجود قوة تجلب المصلحة للأمة وتدفع عنها المفسدة، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت سياسة القوة تتطور كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

نسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يهيئ للمسلمين أسباب القوة لكى يقفوا لأعدائهم بالمرصاد اللهم استجب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



(٤٩) انظر هذه القاعدة فى مجلة الأحكام العدلية المادة (٣١) ص ١٤.

١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى
٢ ـ الفروسية للشيخ شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية نشر دار الكتب العلمية بيروت.
٣ ـ جامع البيان عن تأويل القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وشركاه الطبعة الثانية.
٤ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى
٥ ـ أحكام القرآن لأبى بكر احمد بن على الرازى الجصاص الحنفى
نشر دار الكتاب العربى بيروت مصورة عن الطبعة الأولى
٦ ـ فى ظلال القرآن تأليف الأستاذ سيد قطب رحمه الله. نشر دار الشروق سنة ١٣٩٣ هـ
٧ ـ مجلة أضواء الشريعة العدد الأول لعام (١٣٨٩ هـ ـ ١٣٩٠ هـ وهى مجلة دورية تصدرها كلية الشريعة بالرياض.
٨ ـ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين
الناشر دار الإرشاد الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ط خاصة ١٣٨٩ هـ ـ ١٣٩٠ هـ
٩ ـ محاضرات فى نظام الحكم ـ مكتوب على الآلة الكاتبة وهى للأستاذ الدكتور عبدالعال أحمد عطوة رئيس قسم السياسة الشرعية والأستاذ بالمعهد العالى للقضاء.
١٠ ـ الفن الحديث فى صدر الاسلام للواء ـ عبدالرؤوف مطابع دار المعارف بمصر ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١م.

